عفاريت التطرف والإرهاب

أحمد الحبيشي

في الأسبوع الماضي احتفلت قيادة تنظيم « القاعدة » بمرور عام على تفجيرات لندن الإرهابية التي أزهقت أرواح عشرات المدنيين الأبرياء من مختلف جنسيات العالم بينهم مسلمون من الأطفال والنساء.

بث تنظيم « القاعدة » شريطاً أحيا فيه ذكرى تلك المجزرة الدموية على نحو ما فعله في اوقات سابقة حين بث – عبر قناة «الجزيرة» أيضاً – شرائط مماثلة أحيا فيها ذكرى القتلة وسافكي الدماء الذين أزهقوا أرواح المئات من الأبرياء في مدريد وباريس وبالي وغيرها من المناطق التي اكتوت بنار الإرهاب.

كعادتهم دائماً يبرز الإرهابيون القتلة في الشرائط التي تبثها قناة «الجزيرة» وهم يتحدثون بدم بارد عن جرائمهم الدموية الرهيبة التي ازهقوا فيها أرواح الأبرياء تحت بيارق الجهاد في سبيل الله ومقاتلة أهل الكفر ومن والاهم.. وكذلك يفعلون أيضاً في مشاهد مروعة ومرعبة على شرائط فيديو عبر الانترنت ، حيث يظهرون فيها وهم يجزّون رقاب ضحاياهم بوحشية غير مألوفة وبدم بارد غير مسبوق..ثم يهتفون فوق جثة الضحية الذبيحة بشعار التكبير :(الله اكبر ولله الحمد) !!

ربما كانت أحداث ١١ سبتمبر التي روعّت مدينة نيويورك والعالم بأسره قبل خمس سنوات هي الأكثر دموية في سجل الإرهاب الذي يقوده تنظيم «القاعدة» وقياداته وخلاياه النائمة والناشطة في مختلف بلدان العالم، بيد أنّ مياهاً كثيرة جرت في العالم منذ وقوع تلك الأحداث المأساوية التي سيحيي العالم بأسره ذكراها الخامسة بعد شهرين.

ومن نافل القول إنّ تلك الأحداث أسهمت في تجويف مسار المتغيرات التي افسحت الطريق بعد انتهاء الحرب الباردة لإعادة صياغة النظام العالمي، وتسريع التحولات الديمقراطية على نطاق كوني، بالتوازي مع الإيقاع المتسارع لثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

بقيناً أنّ أحداث سبتمبر أسهمت في تجويف مسار المتغيرات العالمية إذْ استبدلت المنظور القديم لتقسيم العالم إلى عالمين (اشتراكي ورأسمالي)، بمنظور آخر يقسم العالم إلى قسمين:

الاول يفترض ان تكون « مع الإرهاب اوضد ه » ، و الثاني يصر على ان نكون مع « فسطاط الكفر اوفسطاط الإيمان »، الأمر الذي يشكل نكسة مروعة للميول الموضوعية التي أوجدتها ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ونهاية الحرب الباردة باتجاه تأكيد وحدة وتكامل العالم الواقعي والحضارة البشرية .

الأخطر من ذلك أنّ تداعيات أحداث ١١ سبتمبر لم تهدد فقط وحدة وتكامل العالم، بل تجاوزت ذلك الخطر لتهدد أيضاً وحدة وتكامل الحضارة الإنسانية المعاصرة، حيث ارتفعت أصوات متطرفة من هنا وهناك تروِّج لأطروحات بائسة مثل ((صدام الحضارات)) بحسب هنتجتون و((الاستحلال الحضاري)) بحسب سيد قطب ، وكلاهما عنصريان متعصبان بامتياز!!

من السهل جداً تفنيد أطروحة تقسيم العالم إلى ((فسطاط الكفر وفسطاط الإيمان)) .. ومن السهل أيضاً دحض مقولتي ((صدام الحضارات)) و((الاستحلال الحضاري)) لأنها تشكل منظومة من المفاهيم البائسة والمحبطة والمتعالية . بيد أنّ أطروحة تقسيم العالم إلى ((مؤيد للإرهاب اومناهض له)) تفتقر إلى الموضوعية، لأنّ الغرب – وفي المقدمة منه أمريكا وأوروبا – كان أول من أطلق عفريت التطرف والإرهاب من قمقمه ، حين أباح لنفسه توظيف الكنائس الشرقية وجماعات الاسلام السياسي في معارك الحرب الباردة ، وقدم الملاذ الآمن للإرهاب وسانده بمختلف أشكال الرعاية الاجتماعية والحماية القانونية والخبرة الإعلامية والدعم الاستخباري .

> ثمة حكومات وشعوب عربية وإسلامية اكتوت بنار الإرهاب والتطرف طوال العقدين الماضيين.. وكان لها سبق التصدي لهما وتجفيف منابعهما فيما كانت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في دول الاتحاد الأوروبي – على الجانب الآخر – تقف بسلبية مطلقة، وتقدم الملاذ الآمن للإرهابيين والمتطرفين، وتلاحق الدول التي كافحت أولئك المجرمين بتهم مصادرة الحريات الديمقراطية

وحين تكاثرت عفاريت الإرهاب واتسع خطرها المدمر ليطال عواصم ومدن الدول الكبرى مثل نيويورك وواشنطن ومدريد ولندن بعد احداث ١١ سبتمبر، بدأ الغرب يحصد ما زرعته دوائره السياسية وأجهزته الاستخبارية ومؤسساته المالية التي ابتكرت طرقاً مموهة لرعاية وتمويل الإرهاب على نحو يعفيها من مساءلة المؤسسات الدستورية في بلدانها.. فصار لزاماً على هذه الدوائر والأجهزة والمؤسسات أن تفتح أرشيفها السري لتراجع قوائم المنظمات والبنوك والجمعيات التي تولت تنفيذ وتمويل الإرهاب برعاية أمريكية وغربية ... ولم تكتف بهذا الحد من ردود الفعل السريعة، بل تجاوزت حدود المعقول بتوجيه تهمة الإرهاب للعالم الإسلامي المنكوب وللإسلام المفترى عليه !

الثابت ان ثمة حكومات وشعوب عربية وإسلامية اكتوت بنار الإرهاب والتطرف طوال العقدين الماضيين.. وكان لها سبق التصدي لهما وتجفيف منابعهما فيما كانت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في دول الاتحاد الأوروبي – على الجانب الآخر – تقف بسلبية مطلقة، وتقدم الملاذ الآمن للإرهابيين والمتطرفين، وتلاحق الدول التي كافحت أولئك المجرمين بتهم مصادرة الحريات الديمقراطية وانتهاك حقوق الإنسان !

ولسنا بحاجة إلى إيراد طائفة من الأمثلة على رفض الدول الغربية تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب، وامتناعها عن تسليم الإرهابيين إلى الدول التي اكتوت بنار أعمالهم وأفكارهم الشيطانية، وتماديها في تحويل أراضيها ليس فقط إلى ملاذ آمن للإرهاب، بل وإلى مراكز تمارس من خلالها الجماعات المتطرفة مهام القيادة والتخطيط والتوجيه والتمويل والدعاية للعمليات الإرهابية التي وقعت في كثيرٍ من البلدان العربية والإسلامية.

بوسعي القول ان أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بقدر ما اسهمت في كشف الكثير من الملفات السرية لأجهزة استخبارات الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي في مجال توظيف الكنائس وجماعات الاسلام السياسي في المعارك التي خاضتها خلال حقبة الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي وحركات التحرر الوطني العالمية والبلدان ذات التوجه المستقل، بقدر ما اكدت حقيقة ان الولايات المتحدة وحلفاءها في اوروبا وآسيا هم المتهمون الحقيقيون بدعم الإرهاب وإيوائه، وهم في الوقت نفسه ضحايا لشروره ومخاطره كغيرهم من البلدان والشعوب التي اكتوت بناره.

وتحت ضغط تلك الأحداث سعت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في الغرب إلى قلب الموازين بإصرارها على تحويل ضحايا الإرهاب من خارج الولايات المتحدة الاميركية واوروبا إلى متهمين بإيوائه ومتقاعسين عن محاربته، و ثباتها في الوقوف الى جانب حكومة إسرائيل وتبرير جرائمها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني، واظهارها في صورة حرب عادلة ضد الإرهاب، فيما أصبح حق الشعب الفلسطيني في التصدي للعدوان والاحتلال، إرهاباً ينبغي محاربته والقضاء عليه، الأمر الذي من شأنه أن يساعد على خلط الأوراق وتمويه الخطوط والظلال المتداخلة، وتغييب الحقيقة، والانحراف عن القضية الأساسية، وهي مكافحة التطرف والإرهاب وتجفيف منابعهما.

> حين تكاثرت عفاريت الإرهاب واتسع خطرها المدمر ليطال عواصم ومدن الدول الكبرى مثل نيويورك وواشنطن ومدريد ولندن بعد احداث ١١ سبتمبر، بدأ الغرب يحصد ما زرعته دوائره السياسية وأجهزته الاستخبارية ومؤسساته المالية التي ابتكرت طرقاً مموهة لرعاية وتمويل الإرهاب على نحوٍ يعفيها من مساءلة المؤسسات الدستورية في بلدانها.. فصار لزاماً على هذه الدوائر والأجهزة والمؤسسات أن تفتح أرشيفها السري لتراجع قوائم المنظمات والبنوك والجمعيات التي تولت تنفيذ

نقلاً عن/ صحيفة «٢٦سبتمبر»

ثقافة الحذاء

يبدو أنّ الحذاء ركن مهم في ثقافة الفوضى التي يعيش المجتمع المصري بعض جوانبها... المصريون – كما يتندر الأجانب – يبيعون رغيف العيش على الرصيف، غير عابئين بالتلوث الذي يصيبه حتماً، في حين أنّهم يضعون الأحذية في فاترينات عرض زجاجية خوفاً عليها.

ملاحظة طريفة تخص نمط حياة المصريين، ولكنها تشير من ناحية أخرى إلى الأهمية المتصاعدة للحذاء في المجتمع.

فقد أشهر – مؤخراً – نائب في مجلس الشعب الحذاء في مواجهة زميله، وتوعد مرشد الإخوان المسلمين – في حديث منشور – معارضيه بالحذاء إذا وصلت جماعته إلى الحكم، كما صفعت كاتبة إخوانية في اليمن رئيس تحرير إحدى الصحف اليمنية في مقر نقابة الصحفيين اليمنيين العام الماضي، لأنّه نشر في صحيفته موضوعاً لم يعجبها.

سامح فوزي *

منذ أيام شهدت مقصورة استاد القاهرة معركة حامية بالحذاء بين رئيس نادي الزمالك، وبعض أعضاء مجلس إدارة النادي الأهلي، تخللتها شتائم وسباب، ولكمات على الجانبين حدث ذلك في حضور مندوب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس الأعلى للرياضة – وهو بدرجة وزير – فضلاً عن عدد من الشخصيات العامة، يعني هذا أنّ ثقافة الحذاء طالت مؤسسات الدولة السيادية، معركة في المؤسسة التشريعية، وأخرى في حضور مندوب لرئيس الدولة وزير، الأمر الذي يثبت تراجع هيبة الدولة، وتلاشي القدر الواجب من التوقير لرموزها.

في السابق كانت الاشتباكات بالحذاء مقصورة على العوام والدهماء في الحواري والأزقة، أحد عناصر ثقافة الرصيف التي تسود بعض القطاعات الشعبية، ولكن هذه الثقافة امتدت إلى قمة المجتمع، نفذت إلى شرائحه العليا، وفرضت نفسها على الحوار والعلاقات داخل مؤسسات صناعة القرار فيه، كذلك المناسبات العامة. وهو ما يثبت مقولة سبق أن أطلقها د . جلال أمين في كتابه المهم ماذا حدث للمصريين؟ إنّه في لحظات الصعود والهبوط تميل الطبقات الهابطة إلى تقليد ثقافة الطبقات الصاعدة، وبما أنّ الصاعدين في المجتمع المصري من الأكثر ثراء والأقل تعليماً وتحضراً، تصبح ثقافتهم – رغم افتقارها إلى التحضر – هي النموذج الذي يحتذى من الجميع.

هذا يعني بوضوح أنّ غياب السياسة الحقيقية طيلة ما يزيد على نصف قرن لم يؤد فقط إلى غياب التيارات السياسية ذات الجذر الشعبي، وكذلك تَفشي السلبية وغياب المشاركة بكافة صورها، ولكنها أدت أيضاً إلى تجريف واضح في الثقافة السياسية على نحو جعل لغة الخطاب والحوار في المجتمع السياسي تتسم بدرجة عالية من الابتذال غير المسبوق، ولم يُعد أمام الطبقة السياسية سوى التلويح بالحذاء أو الاشتباك به.

طيلة الفترة الماضية التي شهدت قدراً واضحاً من الحراك السياسي، من يتأمل المشهد يصل إلى نتيجة بسيطة أنّ السياسة تقتصر فقط على وسط القاهرة سواء فيما ينشر في الصحف أو ما تشهده الشوارع من مظاهرات واشتباكات، وجميعها لا تخلو من ابتذال في التعبير، ولغة هابطة، ومساجلات بذيئة لا تفرق بين العمل العام والحياة الخاصة.. وأتصور أنّ العمل السياسي لم يشهد مثل هذه الدرجة من التردي من قبل، وهو ما يحملنا إلى الاعتقاد بأنّ هذا المجتمع مرشح لحالة شاملة من الفوضى، وقد تطول أو تقصر حسب إدارة المشهد سياسياً، المجتمع المصري قديم، وجذور الاستبداد راسخة فيه، والتغيير قد يستغرق وقتاً طويلاً ولكن الخطورة أن يعتقد اللاعبون السياسيون أنّ الحذاء هو سلاحهم الوحيد.

---

* كاتب مصري

الإخوان وأهل القرآن

فى البداية فإن تحديد الإخوان المسلمين فى كل ما أكتب هو الثقافة وليس الأشخاص. ليس بينى وبينهم كأشخاص أى مشكلة، المشكلة هى مع فكرهم الوهابى المناقض للاسلام والذى يستخدمونه للوصول إليى الحكم فيظلمون الله تعالى ورسوله ودينه قبل أن يظلموا المسلمين وغير المسلمين. ليس ما أكتبه حكما مسبقا على النيات حين أقول ان حكم الاخوان المسلمين الآتى هو "أسفل السافلين " الذى سنترحم فيه على الحضيض - وهو حكم مبارك البوليسى الاستبدادى. اننى أقرر هذه الحقيقة بناء على التخصص العلمى فى تاريخ الاخوان وعقلياتهم وانتمائهم الفكرى والفقهى، وبناء على ما عانيته منهم ومن أتباعهم منذ ١٩٧٧ وحتى الآن. انها شهادة على العصر يؤكدها أشخاص لا يزال بعضهم على قيد الحياة، كما تؤكدها وثائق وأحداث وقعت ولا تزال تقع. اضطهاد مستمر ودعوات للقتل واستعداء للنظام ضدى وتلفيق للاتهامات وتأليف لأكاذيب وافتراءات تدمر السمعة الدينية والوطنية بالتكفير والتخوين والتحقير. انه الاغتيال المعنوى للشخصية الذى يمهدون به للتصفية الجسدية كما حدث مع صديقى الراحل فرج فودة. الاغتيال المعنوى أخذ طابع الاستمرارية والالحاح على القارىء بالاصرار على تكرار الكذب وترديد نفس البهتان دون ملل أو خجل مهما تم الرد وظهر الحق، الى أن يتم الاغتيال المادى. بعده لا يسكتون وانما يستمرون فى تشويه الضحية ولعنه وأكل لحمه ميتا ليكون مستحقا لما فعلوه به وليكون عبرة لغيره. اذا خاف وتراجع فى منتصف الطريق - كما حدث لبعض الأصدقاء - لم يغفروا ولم يصفحوا عنه، بل تظل محاكمته قائمة لا يرفعها الندم ولا تخففها التوبة. فاذا كان الله تعالى يغفر فهم لا يغفرون، واذا كان الله تعالى يصفح فهم لا يصفحون، واذا كان جل وعلا قد وسعت رحمته كل شىء فان ظلمهم قد شمل كل شىء! ظلموا رب العزة حين زعموا أنه اختارهم من دون العالمين ليحكموا الناس باسمه وليمثلوا دوره فى التحكم بالبشر، وظلموا البشر بالتعالى عليهم واعتبار أنفسهم المؤهلين وحدهم للتحكم فى الناس ومن عارضهم فمصيره القتل فى الدنيا والجحيم فى الآخرة. وهكذا فإنه اذا كان تناقل الجميع كل ما جاء به البيان كحقائق مؤكدة خصوصا مع الهجوم المستمر عليه من خطباء المساجد الذين روجوا لهذا الافتراء يتهمون فرج بالكفر وعداء الاسلام والطعن فى الله تعالى ورسوله والعمالة للغرب، فرسب فرج فى الانتخابات بتلك الحيلة التى تعبر عن"الافتراء" وهو أهم سلاح (شرعى) للاخوان.

مع أزماته المالية - التى كانت أحيانا تعوقه عن اصلاح سيارته المتهالكة - الا أنه كان كريما سخيا. مرت على أوقات غاية فى الفقر فكتبت مقالا ساخرا بعنوان" فان مع العسر يسرا " أمتدح فيها صديقى الدائم طبق الفول وأتحسر على زمن اللحم الذى ولى ولم يعد. كنت أنشر مقالا اسبوعيا فى الأحرار بفضل توسط فرج فودة وعلاقته بوحيد غازى رئيس تحرير الأحرار وقتها مقابل مائة جنيه كانت تشكل بندا أساسيا فى قوام معاشى. وقتها كان ينشر فيه الأخوان المسلمون وأعوانهم - ولا يزالون - أكاذيب ضخمة عن ملايين تأتى لى من اعداء الاسلام!!. بعد نشر مقالى المشار اليه فوجئت بفرج فودة - يرحمه الله تعالى - يستدعينى على عجل من تليفون البقال - وكان أقرب تليفون لبيتى حيث لم يكن لدى المقدرة وقتها على ادخال تليفون فى بيتى - ويطلب منى أن ألقاه على عجل. قابلته فى مكتبه ألهث لمعرفة السبب فى هذا الاستدعاء العاجل، طمأننى واصطحبنى الى مطعم كباب وأقسم بكل عظيم أن أقبل دعوته على الغذاء مع ان موعد الغذاء لم يكن قد حل بعد. لم يتركنى أتساءل عن السبب اذ شغلنى بمشكلة فقهية أثناء الطعام زعم أنها تؤرقه وهى السبب فى دعوتى.استيقظت لنفسى بعدها وأنا فى بيتى وقد عرفت السبب فجأة أذ كان يومها الاثنين وكانت الأحرار قد نشرت مقالى اياه بعد كتابته وارساله بشهر سابق ونسيت أمره، فلما نشرته الأحرار وقرأه فرج فودة بادر بهذا التصرف النبيل.

هو نفسه فرج فودة الذى دافع عنى وأنا فى سجن طرة دون معرفة سابقة بيننا فى مقاله:" أحمدك يا رب " المنشورفى " ألاهالى "، وكان موقفه النبيل منى أساس صداقتنا فيما بعده، ولقد حكى هذا فى كتابه " نكون أو لا نكون"، وحكيت نفس الحادثة فى نقابة الصحفيين فى أول مناسبة لتأبينه بعد اغتياله. وأحكيها هنا أيضا للتحذير من عصر أسفل السافلين القادم ان لم نتكاتف لانقاذ مصرنا ومصيرنا ومصير أولادنا.

منذ بداية الثمانينيات بدأ الفكر الوهابى يسيطر على جامعة الأزهر، بعد انحسار الوصاية الصوفية عنه. كان لى الفضل فى مواجهة الفكر الصوفى وقهره خلال رسالتى للدكتوراة وصراعى مع النفوذ الصوفى فى الأزهر بسببها فيما بين ١٩٧٧ الى ١٩٨٠، ثم فى كتبى اللاحقة ١٩٨٢ - ١٩٨٤، وكنت سنيا معتدلا وقتها أطمح الى اصلاح الفكر السنى أسوة بما فعلته فى التصوف. واندلعت الحرب بينى وبين شيوخ الأزهر السنيين سنة ١٩٨٥ حين أحالتنى جامعة الأزهر للتحقيق بعد تأليفى خمسة كتب للترقية لأستاذ مساعد وقمت بتدريسها للطلبة، كان أهمها كتاب :"الأنبياء فى القرآن الكريم "لم تكن تهمة "انكار السنة " قد جالت بخاطرهم بعد. لذا اتهمونى بانكار شفاعة النبى وانكارعصمته المطلقة وانكار تفضيله على الانبياء السابقين عليهم السلام. وطلب مجلس التأديب الذى أحالونى اليه تقريرا عن كتبى من بعض الأساتذة ومن الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية وقتها وكان الشيخ عبد الجليل شلبى. جاء تقرير عبد الجليل شلبى أكثرها رفقا بى اذ اختلف معى فكريا الا انه أشاد بمشاعرى الاسلامية واجتهادى وشدد على عدم الاضرار بى وبسمعتى ومعالجة الأمر بهدوء داخل الجامعة.

د أحمد صبحي منصور*

طبقا لقرارتهم جلست فى بيتى عامين محروما من الترقية لاستاذ مساعد ومن السفر للخارج ومن العمل داخل الجامعة، بل صادروا معظم مستحقاتى المالية السابقة واللاحقة حتى اتراجع عن عقيدتى فلم أرضخ. أحس بمشكلتى صديق فاضل يعمل رئيسا لقسم التاريخ وقتها فى جامعة المنصورة فجعل رئيس جامعة المنصورة يخاطب جامعة الأزهر للموافقة على نقلى الى قسم التاريخ هناك حلا للمشكلة، فأرسلوا اليه انذارا يأمره بالابتعاد عنى، وعزز الأمر بتأييد من مباحث أمن الدوله فاضطر عميد القسم ورئيس الجامعة فى المنصورة للانسحاب خوفا.

لأنه كان هينا فى تقريره ضدى فقدعوقب الشيخ عبد الجليل شلبى بعدم التجديد له فى مجمع البحوث بينما تمت ترقية الشيخ سيد طنطاوى رئيس اللجنة التى كانت تحاكمنى فأصبح مفتى مصر لموقفه المتشدد معى. خلال العامين قدمت استقالتى فرفضوها فرفعت ضدهم دعوى لارغامهم على قبول استقالتى فاضطروا الى اصدار عزلى من الجامعة.

أعطوا الفرصة للشيخ عبد الجليل شلبى ليكفر عن خطئه فاسندوا له وظيفة جديدة هى كتابة العمود اليومى " قرآن وسنة " فى الجمهورية بعد موت الشيخ محمد سعاد جلال. قام الشيخ عبد الجليل بالهجوم على شخصى بكل ما يسيء لدينى وشرفى وخلقى وعلمى. نسى الشيخ - وكان وقتها يقترب من الثمانين من عمره - ما كان أوصى به زملاءه الشيوخ من عدم الاضرار بى ومعالجة الأمر بهدوء بعيدا عن الصحافة، فكان هو الذى استمر فى الهجوم الصحفى علىّ بطريقة كانت لا تخلو أحيانا من سفاهة، كأن يقول عنى اننى أتهمت النبى محمدا فقلت " ووجدك ضالا فهدى" ناسيا أنها آية قرآنية. الا أنه كان يلح دائما على اتهامى بتلقى الملايين من الخارج لأخرب الاسلام، حتى يفلت من مناقشة آرائى القرآنية.

بعد تركى الجامعة فى مارس ١٩٨٧ خططوا للقبض علىّ وعلى أخوانى القرآنيين بتهمة جديدة هى انكار السنة، فتوالت مقالات الشيخ شلبى فى عموده اليومى "قرآن وسنة " المنصورة فجعل رئيس جامعة المنصورة يخاطب جامعة الأزهر للموافقة على نقلى الى قسم التاريخ هناك حلا للمشكلة، فأرسلوا اليه انذارا يأمره بالابتعاد عنى، وعزز الأمر بتأييد من مباحث أمن الدوله فاضطر عميد القسم ورئيس الجامعة فى المنصورة للانسحاب خوفا.

لأنه كان هينا فى تقريره ضدى فقدعوقب الشيخ عبد الجليل شلبى بعدم التجديد له فى مجمع البحوث الصحافة، فكان هو الذى استمر فى الهجوم الصحفى علىّ بطريقة كانت لا تخلو أحيانا من سفاهة، كأن يقول عنى اننى أتهمت النبى محمدا فقلت " ووجدك ضالا فهدى" ناسيا أنها آية قرآنية. الا أنه كان يلح دائما على اتهامى بتلقى الملايين من الخارج لأخرب الاسلام، حتى يفلت من مناقشة آرائى القرآنية.

بعد تركى الجامعة فى مارس ١٩٨٧خططوا للقبض علىّ وعلى أخوانى القرآنيين بتهمة جديدة هى انكار السنة، فتوالت مقالات الشيخ شلبى فى عموده اليومى "قرآن وسنة " المنصورة فجعل رئيس جامعة المنصورة يخاطب جامعة الأزهر للموافقة على نقلى الى قسم التاريخ هناك حلا للمشكلة، فأرسلوا اليه انذارا يأمره بالابتعاد عنى، وعزز الأمر بتأييد من مباحث أمن الدوله فاضطر عميد القسم ورئيس الجامعة فى المنصورة للانسحاب خوفا.

لأنه كان هينا فى تقريره ضدى فقدعوقب الشيخ عبد الجليل شلبى بعدم التجديد له فى مجمع البحوث الصحافة، فكان هو الذى استمر فى الهجوم الصحفى علىّ بطريقة كانت لا تخلو أحيانا من سفاهة، كأن يقول عنى اننى أتهمت النبى محمدا فقلت " ووجدك ضالا فهدى" ناسيا أنها آية قرآنية. الا أنه كان يلح دائما على اتهامى بتلقى الملايين من الخارج لأخرب الاسلام، حتى يفلت من مناقشة آرائى القرآنية.

طافت بى عواصف الأسى وتساءلت فى نفسى : ما ذنب أولادى فى الذى يجرى لى ؟ وهل عليهم دفع الثمن لمجرد انهم ابنائى ؟ وأين خصومى وافتراءاتهم لينظروا حالنا؟ أقول هذا الآن لأحمد الله سبحانه وتعالى وأنا أرى أولادى قرة عين لى ولعائلتى برجولتهم وثقافتهم بما تعلموه معى من الصبر على الشدائد !! كنت قد خرجت من الجامعة محالا على المعاش وأنا فى الثامنة والثلاثين من عمرى بعد عمل فى جامعة الأزهر استمر خمسة عشر عاما فقط استحققت عليه معاشا شهريا لم يبلغ فى سنته الأولى ٨٦ جنيها لا تكفى نفقة اسبوع، بينما ينعم الشيوخ الأفاضل حتى بعد السبعين من أعمارهم بمعاشات ومكافآت بكل العملات الصعبة والسهلة من الوظائف المختلفة فى اللجان الشرعية فى البنوك الاسلامية و الجمعيات المختلفة الحكومية والشعبية والرسمية وشبه الرسمية.

ليلة القبض على كنت أكتب الجزء الثانى من موسوعة لم أتمها كانت بعنوان " شريعة الله وشريعة البشر " اناقش فيها التناقض بين سريعة القرآن والفقه السنى. الجنود البواسل الذين قبضوا على صادروا كل ما كتبته فى تلك الموسوعة وما أعددته من مادة علمية كما صادروا قرابة الف نسخة من آخر كتاب لى طبعته على حسابى وبمعونة أصدقائى، وهو " المسلم العاصى " . تركونى أصلى ركعتين وأودع زوجتى وأولادى وأترك معهم اربعين جنيها محتفظا لنفسى بكل ما تبقى لدى من مال وكان ثمانين جنيها، وخرجت معهم الى المجهول.

فى سجن طرة كنت انظر فى حسرة الى الثمانين جنيها مؤنبا نفسى لماذا لم أتركهم لأولادى وهم وحدهم فى تلك المحنة؟!. لا أنسى أننى فى موقف ضعف بينى وبين نفسى اجتاحنى الغم والوساوس تأكلنى حول حال أولادى وكيف يعيشون بالقليل الذى تركت معهم وأنهم نفسى بالأنانية. سمعت صوتا يناديني وكان أحد المساجين يقرأ فى الجمهورية يقول لى مبتسما: إن الشيخ عبد الجليل شلبى يتحدث عنك هنا. أعطانى " الجمهورية " لأقرأ فيها مقال الشيخ يتشفى فى سجنى ويتحدث عن الملايين التى تأتينى وكيف أنها ما أغنت عنى شيئا. لأول مرة فى تجربة السجن تلك غلبتنى دموعى من القهر ونظرت الى السماء أطلب المزيد من الصبر. لم يكن اهلى قد عرفوا بعد اين أخذونى، وطاف أهلى يبحثون عنى فى أقسام البوليس بينما تطاردهم الصحافة المصرية فى شهامتها المعهودة تهاجمنى وتفترى أكاذيب عنى. كانت الصحف القومية هى المسموح بها فقط فى السجن دون صحف المعارضة. وقد عشت أوقاتا كئيبة وأنا أقرأ ما تكتبه الصحف القومية عنى من افتراء وهجوم دون وازع من ضمير أو شرف أو محاولة لاستطلاع رأى الطرف الآخر المسجون الذى لا حول له ولا قوة. فى هذه الأثناء ظهر فى "الأهالى "مقال فرج فودة " أحمدك يا رب " وكان الوضع قد تحسن اذ عرف أهلى اننى فى طرة، فجاءوا فى أول زيارة لى ومعهم ما لذ وطاب من الطعام، تسلمته عبر الأسلاك وسمعتهم يؤكدون على أهمية ورق الجرائد الذى يغلف أوانى الطعام. فتحت أوراق الجرائد فاذا بها "الأهالى" وفيها مقال فرج فودة الذى يدافع عنى بكل قوة ويهاجم مباحث أمن الدولة وتلفيقها تلك التهمة لى قائلا انه يقتنع بنفس الفكر، وان الامام أبا حنيفة قد قال نفس ما قلته من قبل. نزل مقال " أحمدك يارب " على قلبى بردا وسلاما، وأكد لى أن فى مصر رجالا مهما تكاثر فيها الأشرار والخصيان والأنذال. وطفقت اقارن بين فرج فودة وعبد الجليل شلبى. الأول كاتب علمانى لا يعرفنى ويندفع للدفاع عنى وكل ما قرأه لى هو الاتهامات الواردة فى الأهرام وغيرها عن كتاباتى وهى كلها دلائل اجتهاد علمى ولكن تحولت فى الزمن الأغبر الى جرائم تستحق السجن. الثانى شيخ جاوز الثمانين قرا كتبى وعرفنى وقال شهادة حق ثم تنكر لها وواصل الهجوم بالأكاذيب لمن لم يسبق له أن اساء اليه، بل حتى لم يترفق به بعد تركه الجامعة او حين وضعوه فى السجن مظلوما. فارق هائل بين شهامة ونبل فرج فودة وموقف عبد الجليل شلبى الذى أترك تقييمه لحكم القارىء. توالت مقالات الشيخ عبد الجليل شلبى تهاجمنى بنفس الأكاذيب بعد الافراج عنى، لم يعد الهدف هو القبض على بل دفع الارهابيين لقتلى.

حضيض النظام العسكرى الاستبدادى كان أكثر رحمة بى منهم. ليس فى القانون المصرى عقوبة على الاتهام المنسوب لى وهو" انكار السنة" ولو كانت دولة الاخوان المسلمين لكانت التهمة "حد الردة " وعقوبتها القتل بدون محاكمة كما يرون فى عقوبة " الزنديق " التى قال بها ابن تيمية فى رسائله، وسيد سابق فى كتابه " فقه السنة" وابو بكر الجزائرى. كل ما فعله الاستبداد العلمانى المصرى هو السجن لمواجهة ضغط سياسى هائل قادته السعودية وأعوانها من الشيوخ الأزهريين السنيين الوهابيين. وبعدها بأكثر من عشر سنوات حين ازداد نفوذ الوهابية فى مصر وازداد ضعف النظام فى مصر وازداد حنقه على ما نفعله بالتعاون مع مركز ابن خلدون فقد قرر معاقبة القرآنيين بتهمة ازدراء الأديان، وبذلك حكم على بعض الرفاق القدامى بالسجن بضع سنين.

احقاقا للحق فى شهادتى هذه لابد أن أذكر بعض الايجابيات لبعض ضباط ومسؤولي أمن الدولة دون ذكر اسماء. لقد تعاملت معهم متهما يستدعونه للتحقيق وللترويع منذ عام ١٩٨٦ طبقا لأوامر عليا من الوزير زكى بدر ثم من جاء بعده. ولا زلت أذكر غرفة النشاط الدينى فى لاظوغلى التى دخلتها عشرات المرات فيما بين ١٩٨٦ الى ١٩٩٧ ثم بعدها فرع أمن الدولة فى المرج ودار السلام. خلال تلك السنين عايشت ضباطا كبارا أنهوا خدمتهم، وضباطا صغارا كبروا أمام عينى مثل أطفالى وترقوا من ملا زم أول الى مقدم، وكنت اسميهم بينى وبين نفسى ساخرا " الضباط بتوعى ". كانت مهمتهم التخفيف من غضب الشيوخ وضغوطهم المستمرة التى تلح على اعتقالى وسجنى لتسهيل إغتيالى فى السجن بعد أن صرت مشهورا ومعروفا ومطلوبا.أفهمنى أولئك الضباط أن إستدعائى هى مجرد أوامر، وبهدف حمايتى.

قبل القبض على بأيام قال لى رئيس النشاط الدينى، وكانت أمامه مذكرة القبض علىّ كما عرفت فيما بعد :" يا دكتور أحمد أنا لا أنام الليل من أجلك ، لماذا لا تقعد فى حالك ولا تخطب فى المساجد ". قبلها طلب هو نفسه من الشيوخ عقد مناظرة بيننا فى أى موضوع يختاره الشيوخ ولا يحضره سوى كبار ضباط أمن الدولة لأنهم مقتنعون بأننى مسلم حريص على دينه ولست كافرا كما يقول شيوخ الوهابية. رفض الشيوخ بالطبع. قبلها وفى سنة ١٩٨٥ طلب رئيس نادى جامعة الأزهرالدكتور عويضة عقد نفس المناظرة بينى وبينهم داخل الجامعة فرفضوا. إنهم لا يجرؤون على مواجهتى فى مناظرة، ولا يستريحون إلا بتغييبى فى سجن أو فى قبر.

هذه هى نظرة الشيوخ الأخوان لكل من يختلف معهم فى الرأى. فهل ستتسع صحراء مصر للقبور الجماعية التى سيقيمها الأخوان المسلمون لكل من يعترض عليهم ؟

فى مواجهة الأخوان وغيرهم من المتطرفين الذين شوهوا الاسلام العظيم سينطلق قريبا موقع (أهل القرآن) الذى سينقل للقراء كل مؤلفاتى ومنها (الصلاة بين القرآن والمسلمين). وسيكون موقع (أهل القرآن) بعونه تعالى بيتا فى فضاء الانترنت لكل المسلمين المستنيرين.

والحمد لله تعالى رب العالمين..

---

* مفكر ازهري مصري